﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام: 40]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الاحتجاجُ على المشركين

لَمّا بَيَّن ﷺ غايةَ جَهلِ أولئك الكفّار؛ بَيَّن مِن حالِهم أيضًا أنَّهم إذا نزَلتْ بهم بَليَّةٌ أو مِحْنةٌ؛ فإنَّهم يَفزَعون إلى اللّه تعالى، ويَلجَؤون إليه، ولا يَتمرَّدون عن طاعته، فهذا ابتداءُ احتجاجٍ على الكفّارِ الذين يجعلون للّه شركاء[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: جَرَى (أَرَأَيْت) - هنا - مجرى أَخْبِرْني، أي: أخبِروني إخبارَ مَنْ لَهُ عِلمٌ ودِرايةٌ، أَخبِروني بشيءٍ مِنَ التَّأكيد، والرُّؤْيَةُ: النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ، يُقال: رأيتُه، رُؤْيَةً ورَأْيًا: إذا أبصرْتُهُ، ويُقال: رأَيْتُه بعَيْني رُؤيَةً، ورأَيْتُه رَأْيَ العَيْنِ، أي: حَيْثُ يَقَعُ البَصَرُ عليه، والرُّؤيَةُ - أيضًا- إدْراكُ المَرْئيِّ، والرُّؤْيَةُ بالعَيْنِ تَتَعَدَّى إلى مَفْعولٍ واحِدٍ، وبِمعنى العِلْم، تَتَعَدَّى إلى مَفْعولَيْن[2].

2) ﴿عَذَابُ﴾: الشِّدَّةُ والعُقوبَةُ. وأَصْلُ الكَلِمَةِ منَ العَذْبِ، وهو المَنْعُ، يُقالُ: عذَّبْتُ عَنْهُ الماءَ، أيْ: مَنَعْتُهُ عَنْهُ، وسُمِّيَ العَذابُ عَذابًا؛ لأنَّه يَمْنَعُ الشَّخْصَ مِنَ الرُّجوعِ إلى الجَريمَةِ، والعَذابُ: الضَّرْبُ بِعَذَبَةِ السَّوْطِ، أي: طَرَفِها، ويأْتي التَّعْذيبُ بِمعنى الإيلامِ والإيجاعِ الشَّديدِ، وإلْحاقِ المَشَقَّةِ بِغَيْرِه[3].

3) ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: السّاعَةُ في الأَصْلِ تُطْلَق بمعْنيين: أحدُهما: أَنْ تكونَ عبارةً عَنْ جُزءٍ مِنْ أربعةٍ وعِشْرينَ جُزءًا، هيَ مجموعُ اليَومِ واللَّيلةِ، والثّاني: أَن تَكونَ عبارةً عَنْ جُزءٍ قَليلٍ مِنَ النَّهارِ أَوِ اللَّيْلِ، ثُمَّ استُعير لاسْمِ يَوْمِ القيامَةِ، قال الزَّجّاج: مَعْنَى السّاعَةِ في كُلِّ القُرآن:

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/532، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/507.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، والراغب، المفردات: (رأى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عذب).

الوَقْتُ الَّذي تَقوم فيهِ القيامَةُ، يُريد أَنَّها ساعَةٌ خَفيفَةٌ يَحْدُثُ فيها أمرٌ عظيمٌ؛ فلِقلَّة الوَقْتِ الَّذي تقوم فيهِ سَمّاها: ساعَةً[1].

4) ﴿تَدْعُونَ﴾: الدُّعاءُ: النِّداءُ، تقولُ: دَعَوْتُ فُلانًا دُعاءً ودَعْوَةً، أيْ: نادَيْتُهُ، والدَّعْوَةُ: المَرَّةُ الواحِدَةُ مِن الدُّعاءِ، ويأْتي الدُّعاءُ بِمعنى الطَّلَبِ والسُّؤالِ، يُقال: دَعَوْتُ اللّه، أَدْعوهُ، أيْ: سَأَلْتُهُ، وأَصْلُه: إمالَةُ الشَّيْءِ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وكَلامٍ يكون مِنْكَ، ومنه سُمّيَتِ الرَّغْبَةُ إلى اللّهِ - ﷻ - دُعاءً، ويطلَق على الحَثِّ إلى الشَّيْءِ والتَّرْغيبِ فيهِ، فيُقال: دَعا قَوْمَهُ إلى اتِّباعِهِ، أيْ: حَثَّهُمْ، ورَغَّبَهُم، ومِن مَعانيه أيضًا: التَّضَرُّعُ والتَّسْمِيَةُ والقَوْلُ والشَّرَفُ، وجمْعُ الدُّعاءِ: أدْعِيَةٌ ودَعَواتٌ[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

عـنـدَ حـلـولِ عـذابِ الـلـه، لا ينفعُ المشركين ما يـدْعُـون مِن دون الله

قُل يا أَيُّها الرَّسول ﷺ لهؤُلاء المشركين، تبكيتًا لهم على عِبادَتهم غَيْرَ اللّه تعالى، وإلزامًا لَهُم بِما لا يستطيعون إنكارَه: أخْبِروني إنْ أتاكم عذابُ اللّه المنتقم الجبّار، أو أتاكم يَومُ القيامةِ؛ هل ستَدْعونَ في ذلك الوقتِ أحدًا غيرَ اللّه؛ ليُنْجيَكم ممّا حَلَّ بكم إنْ كنتم صادِقينَ في اتِّخاذِكُم آلهةً من دونه؟[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

غرضُ الاستئناف في ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾:

التَّـعـريـض بالحثِّ على خلْع الشِّرْك ونبذه

قوله جلّ شأنه ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ قولٌ مُستأنَفٌ أمرَ اللّهُ تعالى رسولَه ﷺ أن يوجِّهه إلى المشركين، يتضمَّن تهديدًا بالوعيد طردًا للأغراض السّابقة، وهو تقريرُ الإنسانِ بما لا يُمْكِنُه دفعُه؛ وذلك بأن يُقَرَّرَ بشيءٍ يُقِرُّ به، ولا يُمكِنُه دَفْعُه؛ لأنَّهم في هذه الحال لا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، وابن منظور، لسان العرب: (سوع).

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (دعو).

(3) النسفي، التيسير في التفسير: 6/73، ومجموعة من العلماء، التفسير الوسيط: 3/1238، والزحيلي، التفسير المنير: 7/199.

يدْعونَ إلّا اللّهَ تعالى، فإذا كان ذلك كذلك، فلماذا يُخْلِصون في الشِّدَّةِ، ويُشْرِكون في الرَّخاءِ؟ وفيه: تعريضٌ بالحثِّ على خلْع الشِّرْك ونبذه؛ إذ ليس لشركائِهم نفعٌ بأيديهم، فذُكِّروا بأحوالٍ قد تعرض لهم يلجؤونَ فيها إلى اللّهِ تقدّست أسماؤه، إضافةً إلى ذلك فيه اكتفاءٌ عن عبادة غير اللّه تعالى للعلم بحالهم[1]..

بلاغة تركيب: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾:

التَّصوُّر الذِّهنيّ بالرُّؤية، في قوَّة الظُّهور والمثول

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ تركيبٌ شهيرُ الاستعمالِ، يُفتتَحُ بمِثلِه الكلامُ الذي يُرادُ تحقيقُه والاهتمامُ به، وهي كلمةُ استفهامٍ وتَعجُّب، وليس لها نظيرٌ؛ فهمزةُ الاستفهامِ فيه للتَّقرير والتَّعجيب[2]، وفيه: تعريضٌ بالحثِّ على خلْع الشِّرْك؛ إذ ليس لشركائِهم نفعٌ بأيديهم، فذُكِّروا بأحوالٍ قد تعرض لهم يلجؤونَ فيها إلى اللّهِ[3].

إنَّ هذا الأسلوب الاستفهاميَّ الّذي تدخل فيه همزةُ الاستفهام على فِعل الرُّؤية المُثبَت، كثيرُ الورود في كتاب اللّه العزيز، ويختصُّ بالاستعمال في الحالات العجيبة؛ ولذلك نراه يقترن كثيرًا بأسلوبِ شرطٍ، وجملةٍ استفهاميَّةٍ أخرى، كما في آيتنا هذه. وهذا الاقتران أضفى على الجملة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ فخامةً في التَّركيب وسموّا في المعنى، والبلاغيّون على أنَّه بمعنى أخْبِرْني أو أخبِروني، وهذا المعنى ليس بلازم، وقد كانت نشأتُه في أروقة النُّحاة أوَّلًا، ثمَّ تلقّاها البلاغيّون عنهم.

ليس المرادُ من (أرأيتكم، وأرأيت، وأرأيتم): أخبِرْني أو أخبِروني، وإنَّما المرادُ: هو استحضارُ الأمر المستفهَمِ عنه، وتصوُّره

(1) شهاب الدين، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: 1/55، والخطيب، تفسير المنار: 7/340، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/221، وابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم - سورة الأنعام، ص: 215.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/161، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/507، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/221.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/132، والأنصاري، فتح الرحمن، ص: 166 - 167.

في الذِّهن ليُحكَمَ عليه، وهو حاضرٌ ماثلٌ في النُّفوس، وعُبِّر عن هذا التَّصوُّر الذِّهنيّ بالرُّؤية (البصَريَّة) في قوَّة الظُّهور والمثول، أعني: أنَّ الاستحضار الذِّهنيَّ المطلوب ينبغي أن يكون كاملًا حتَّى لكأنَّ صاحبَه يراه ماثلًا أمامه، كما يكون شخصٌ ماثلًا أمامه ينظرُ إليه بكلِّ وضوح.

وتطبيقُ هذه الفكرة على آيتنا هذه ميسورٌ، فإنَّ الله تعالى يدعو المخاطَبين إلى أن يتصوَّروا أنفسَهم واقعًا عليهم عذابٌ عظيم من فوقهم ومن تحت أرجلِهم ومن ورائِهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم؛ ليتصوَّروا أنفسَهم في لُجَّة هذا العذاب، فتقعُ منهم الإجابةُ صادقةً[1].

نكتة استعمال ﴿إِنْ﴾ دون (إذا) في السِّياق:

حـرص الـقـرآن عـلى زرع بـذور الأمل، في هداية الضّالين

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ ﴿إِنْ﴾ الشَّرطية هنا دون (إذا)؛ لأنَّها تختصُّ بالدُّخول على غير مُتحقِّقِ الوقوع، وهو أنَّهم لن يدعوا غيرَ الله في هذا الموقف، وعليه قد عدلَ عن استعمال (إذا) في هذا المقام؛ لأنَّ (إذا) تختصُّ بدخولها على مُتيقَّنِ الوجود، ففي هذا الاستعمال إرخاءٌ لعَنان التَّفكر والاهتداء، ولو قال: (إذا أتاكم..)؛ لوقع اليأسُ منَ الإيمان.

سرُّ إيثار لفظِ (الإتيان) على (المجيء)، في قوله: ﴿أَتَىٰكُمْ﴾:

تـلـويـحٌ لـلـمـخـاطَـبـين بـهـوانِـهـم على الـلـه تـعـالى، إن أصـرُّوا على شركِهم

ذكر السّيوطيُّ أنّ " (جاء) تُقالُ في الجواهرِ والأعيانِ، و(أتى) في المعاني والأزمانِ"[2]، و(أتى) أخفُّ من (جاء)[3]؛ لأنّه مجيءٌ بسهولة؛ وقد آثر السّياقُ اختيارَ لفظِ الإتيانِ، وذلك لبيان يُسرِ إتيانِ العذابِ، وأنَّ حالَ المخاطَبين ليس في رفعةٍ مانعةٍ من حلولِ العذابِ

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 7/341، والمطعنيّ، التفسير البلاغي للاستفهام: 1/302 - 308.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 5/30.
(3) الرّاغب، المفردات: (أتى، جاء).

بهم، ففي استعمالِ هذا اللَّفظِ إيماءٌ وتلويحٌ بهوانِ المخاطَبين عند اللّه تعالى، إنْ هم أصرّوا على ما هم عليه.

سرُّ التَّعبير بلفظ (العذاب)، دون ما يقاربه في الدّلالة:

أهـوالٌ تبرزها المعاني، في ظلالِ ألفاظِها

جاء التَّعبيرُ بلفظ العذاب في الآية دون مرادفاتِه؛ لأنَّه يتضمَّنُ دائمًا ملمحَ الشِّدة، حتَّى وإن لم يوصفْ بالشَّديد أو الأليم ونحوِ ذلك، أمّا العقابُ - مثلًا - فقد يكونُ يسيرًا؛ لارتباط العقوبةِ بالذَّنْب، فإذا عظُم الذَّنبُ؛ عظُمتِ العقوبةُ، زِدْ على ذلك أنَّ العذابَ يكونُ عامًّا فيمن يستحقُّه ومن لا يستحقُّه بالشِّدّة نفسِها، وبما أنَّ الشِّركَ باللّه من أعظم الذُّنوب؛ آثر استعمالَ العذاب على غيره من مرادفاتِه.

فائدةُ تعريف ﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾، بالإضافة دون (الْ):

الإضـافـة للتّهويل

إضافةُ العذابِ إلى اسمِ الجلالةِ في قوله: ﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ دون أن يأتي معرَّفًا (العذاب) لزيادةِ تَهويلِه؛ وذلك لصُدورِه عن أقدَرِ القادرينَ[1].

بلاغةُ المجاز في لفظ ﴿أَتَىٰكُمْ﴾:

الإشـارةُ إلى حصول شيءٍ لم يكنْ حاصلًا

إتيان العذاب: حلوله وحصوله، فهو مجازٌ؛ لأنَّ حقيقة الإتيان المجيء، وهو الانتقال من موضع بعيد إلى الموضع الذي استقر فيه مفعول الإتيان، فيطلق مجازًا على حصول شيء لم يكن حاصلًا، وكذلك القول في إتيان السّاعة سواء[2].

وجاهةُ تقديم ذِكر (العذاب) على ذكر (السَّاعة):

تقديم العذاب على السّاعة، ترهيبٌ للمنكرين، ورحمةٌ للمذنبين

المقصودُ بعذاب اللّه في الآية الكريمةِ ما يقعُ على المشركين من عذابٍ متوقَّعٍ في الدُّنيا نتيجةَ شركهم وعبادتهم غيرَ اللّه تعالى، أمّا السّاعة؛ فهي اسمٌ للوقت الذي يُصعقُ فيه العبادُ، واسمٌ للوقت الذي يُبعث فيه العبادُ، وفيه منَ الهول العظيمِ ما لا يوصفُ، وهو مآلٌ واقعٌ لا مفرَّ منه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/223.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/223.

وقد تأخَّر ذِكرُ إتيانِ السّاعةِ على العذاب، في قولِه: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ لمجموعةٍ من النِّكات: الأولى: الاعتناء بما هو متقدِّمٌ زمانًا على المتأخر زمانًا، والثّانية: مزيدُ تحذير من وقوع عذاب الله في الدُّنيا، فإنَّ ذكرَه يُلوِّح بحلوله إن أصرّوا على كفرِهم، والثالثة: تقديم المتوقَّع على المتحقق بغرض التَّرهيب والوعيد، فينال كُلُّ ظالمٍ جزاءَه ويتبيَّن لكلِّ مُشرك أنَّ الله واحدٌ أحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، وبهذا الترتيب تتَحَقَّقُ القيمةُ الهدائيّةُ.

معنى حرف ﴿أَوْ﴾ في الآية الكريمة:

عذاب الله يَتَلوّنُ بِتَلَوّن الكفر والعصيان

أفاد حرف العطف (أو) في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ معنى التَّفصيل، حيث ربط بين السّابق واللّاحق، مع إفادة تعدّد الأحوال التّي يوقِعُها الله تعالى على عبيده، لأنّه هو المتصرّف الّذي بيده أمرُ كلِّ شيء.

نكتةُ تكرير ﴿أَتَتْكُمُ﴾، دون الاكتفاء بإتيان العذاب:

إعادةُ اللّفظ لتقريره في النّفوس، وترسيخه في الأذهان

أعادَ الفعْلَ (أتى) مَع كَونِ حَرفِ العَطفِ ﴿أَوْ﴾ مُغنيًا عَن إعادةِ العامِلِ؛ بأن يُقالَ: (إنْ أتاكُم عَذابُ اللهِ أَوِ السّاعَةُ)، وهو ما يوَجَّهُ به الإظهارُ في مَقامِ الإضمارِ مِن إرادةِ الاهتمامِ بِالمُظْهَرِ، بحيث يُعادُ لفْظُه الصَّريحُ؛ لأنَّه أقوَى استِقرارًا في ذِهنِ السّامِعِ[1].

قال ابنُ عرفةَ: "إن قلتَ: لمَ أعاد الفعلَ، والأصلُ في المعطوفات المتَّفقةِ الألفاظِ الاكتفاءُ بالأول، فيُقال: أرأيتم إنْ أتاكُم عذابُ الله أو السّاعةُ، فأجاب بأنَّه إذا كان صدورُ الفعل الأوّلِ من فاعله أقوى بالمعنى من صدور الثّاني عن فاعله أو العكسُ، فيُعادُ لفظُ الفعل الأوّل، وإن لم يكن بينهما تفاوتٌ، ولا اختلافٌ في إحداث الفعل؛ فيُكتفى بالأوّل، ولا شكَّ أنّ إتيان عذابِ الله مغايرٌ لإتيان السّاعة"[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/223.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/154.

نكتةُ ذكرِ السّاعة دون مرادفاتها المفيدةِ:

السّاعةُ اسمٌ لوقتٍ تقومُ فيه القيامةُ، سُمّي بها؛ لأنَّها ساعةٌ خفيفةٌ يحدثُ فيها أمرٌ عظيمٌ وهي القيامةُ[1]، فذِكْرُها أغنى عن ذكر القيامةِ ومرادفاتِها؛ لأنَّها هي المقصودةُ بالذِّكر.

غرضُ الاستفهام في قولِه: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾:

إلجاءٌ إلى الإقرار بالجواب

قولُه تعالى: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ مناطُ الاستخبار ومحطُّ التَّبكيت، وهو استفهامٌ تقريريٌّ، جيء به للتَّوبيخ والتَّقريع والتَّعجّب من حالهم، يُراد به أخذُ اعترافِ هؤلاء المشركين باللّه[2].

وقد أضاف تصدّرُ همزةِ الاستفهام لجملة القصر معنًى آخرَ؛ جاء من خروج الاستفهام عن معناه الحقيقيِّ: وهو تبكيتُهم وإلجاؤُهم إلى الإقرار بالجواب[3]، فتمَّ بهذا الاحتجاجُ على الكفّار الجاعلين للّه شركاءَ.

دلالةُ لفظ ﴿أَغَيۡرَ﴾ على العُموم:

كـلّ مـن يدعـو غـيرَ اللـه، فهو مَهين ومُهان

التَّعبيرُ بـ ﴿أَغَيۡرَ﴾ أفاد العمومَ، وقد جاءت لتُصَوِّرَ عِظمَ جُرْم مَنْ يدعو غيرَ اللّه تعالى، أو يتوكَّلُ على غيره من مخلوقاته، ويُلحظُ أنَّ هذا التَّعبيرَ فيه تقزيمٌ وتجهيلٌ واستهانةٌ بالدّاعي وتحقيرٌ بالمدعوّ، وفي الوقت نفسِه أفادتْ حصرَ العبادة باللّه ﷻ دون غيره.

سرُّ تقديم ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ على فعل ﴿تَدۡعُونَ﴾:

الأفـعـالُ لا تُـذمُّ إلّا باعتبارِ متـعـلَّـقـاتِـهـا، ودورها أساسيّ في التّركيب

في قوله تعالى: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ مِنَ التَّبكيتِ ما هو ظاهرٌ، وسرُّ تقديم ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ على عامله ﴿تَدۡعُونَ﴾؛ لتكونَ الجملةُ المُستفهَمُ عنها جملةَ قَصْرٍ، وذلك إمّا للاختصاص، بمعنى: أَتَخُصّون آلهتكم بالدَّعوة فيما هو عادَتُكم إذا أصابكم ضُرٌّ، أم تَدْعونَ اللّه دونَها؟

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/154، والبروسويّ، روح البيان: 3/29.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/132، والبروسويّ، روح البيان: 3/29، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 4/177، وطنطاويّ، الوسيط: 5/72.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/22، وزاده، حاشية على البيضاويّ: 2/165.

وإمّا للإنكارِ عليهم في دُعائِهم للأصنام؛ لأنَّ المُنْكَر إنَّما هو دعاءُ الأصنام، لا نفسُ الدُّعاء، ألا ترى أنَّك إذا قُلْتَ: أزيدًا تَضْرِبُ؟ إنما تُنْكِرُ كونَ زيدٍ مَحَلًّا للضَّرْب، ولا تُنْكِرُ نفسَ الضَّرْب[1].

دلالة ذكرِ لفظ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾ في السّياق:

انتهاجُ أسلوبِ اللّين، لاستمالة القلوبِ، وإقامةِ الحُجّة عليها

لا يخفَى ما في اسمِ الجلالة منَ الهيبة والعظمةِ والأثرِ العظيم في النُّفوس؛ رهبةً، وخوفًا، ولينًا، وانقيادًا، وهذا ما نجدُه متحقِّقًا في الآية الكريمة، وأبعدُ من ذلك فالآية مصنَّفةٌ عند علماء البيان من باب استدراجِ المخاطَب، وهو أن يليّنَ الخطابَ، ويمزجَه بنوع منَ التَّلطّف والتَّعطّف حتَّى يوقعَ المخاطَبَ في أمر يعترفُ به، فتقومَ الحجَّةُ عليه، واللّه تعالى خاطب هؤلاء الكفّارَ بلينٍ منَ القول، وذَكَر لهم أمرًا لا ينازِعون فيه، وهو أنَّهم كانوا إذا مسّهم الضُّرُّ دعَوُا اللّه لا غيرَه[2].

نكتةُ استعمال الفعل ﴿تَدْعُونَ﴾ دون (تُنادُون):

لفظُ (الدُّعاء) يجمعُ بين النِّداءِ والعبادة

استُعمل لفظُ الدُّعاء في هذه الآية، في معنى الاستغاثة، ويكونُ الدُّعاءُ بصوتٍ جَهريٍّ أو خفيٍّ، ويكونُ الدُّعاءُ عبادةً، كما في هذه الآية الكريمة، أمّا النِّداء فلا يُستعملُ في معنى العبادة، وكذلك لم يُستعملْ في معنى الدُّعاء السّري، ولا في معنى الكلام القلبيِّ، بل في معنى الصَّوت الجَهري أو الكلام الجَهري؛ لذلك آثر استخدامَ ﴿تَدْعُونَ﴾ دون (تنادون)؛ فهو أشملُ وأوسعُ دلالةً، لدخول معنى النِّداء والعبادة.

موقعُ جملة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ممَّا قبلها:

في التّذييل تبكيتٌ وتوبيخٌ

تذييلٌ لما سَبق أفاد تأكيد التَّبكيت، الَّذي في جملة القصر؛ ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾.

(1) الزمّخشريّ، الكشّاف: 2/22، والبيضاوي، أسرار التّأويل: 2/161، والسّمين، الدّر المصون: 4/627، وابن عاشور التّحرير والتّنوير: 7/224.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/511.

حذفُ جوابِ جملة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

جملةُ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ مستأنفةٌ، وجوابُها محذوفٌ دلَّ عليه قولُه: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الذي هو بمعنى التَّقرير، وتقديرُ الجواب: إن كنتم صادقين فأنتم مُقرّون بأنَّكم لا تدعون غيرَ الله[1].

عند الاضطرار لا أمل للمشركين في دعاء غيرِ الله

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

(أتى) و(جاء):

تشترك المادّتانِ المُعجميّتان في دلالة القُدوم والإقبال، غير أنَّ بينهما فُروقًا تتكشَّفُ عند تأمُّلِ السّياق، إذ نجدُ (أَتَى) مُستعمَلةً في الأمور التّي يُتوصَّل إليها بسهولة، أو تكونُ في سياقٍ تَنْسابُ فيه المعاني بسهولةٍ؛ لذلك جاء التَّعبيرُ بها في هذه الآية؛ لأنَّ أمرَ عذابهم سهلٌ في الدُّنيا ويومَ القيامة، وأمّا المجيءُ فيأتي لِما فيه صُعوبةٌ ومشقَّةٌ، ولعلَّ ذلك يعودُ إلى لفظ كلٍّ منَ الفعلَيْن، فـ (أتى) أخفُّ من (جاء)، وممّا يدلُّنا على ذلك أنَّ (أَتَى)، يؤخذُ منهما الأزمنةُ الثَّلاثةُ: الماضي، والمضارعُ، والأمرُ، فنقولُ: أتى، ويأتي، وائْتِ، وكلُّها وردت في القرآن، في حينِ وردَ الفعلُ (جاء) ملازِمًا حالةً واحدةً، وهي صيغةُ الماضي فحسبُ، لثِقَلها فلا تجدُ في القرآن الكريم يجيء أو جِئْ، ولا يخفى ما فيها منَ الثِّقل والصُّعوبة[2].

الإتيان للأمور الّتي يُتوصَّل إليها بسهولة، والمجيء لِمَا فيه صُعوبةٌ ومشقَّةٌ

العذاب والعقاب والجزاء:

العِقابُ يُنبئُ عنِ استحقاقٍ، وسُمّي بذلك؛ لأنَّ الفاعلَ يستحقُّه عَقيبَ فِعله، ويجوزُ أن يكون العذابُ مُستحَقًّا وغيرَ مُستحَقٍّ، وأصلُ العقاب التُّلوّ، وهو تأديةُ الأوَّل إلى الثّاني يُقال: عقبَ الثّاني الأوَّلَ إذا تَلاه. وذَكر الكفويُّ أنَّ العِقاب هو جزاءُ الشَّرِّ، والنَّكالُ أخصُّ منه،

العذابُ الألمُ الثَّقيلُ، والعِقابُ ما يكون عن استحقاق، والجزاء للمقابل أيّا كان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/224، وطنطاوي، الوسيط: 5/72.
(2) الراغب، المفردات: (أتي)، والدوري، دقائق الفروق البيانية، ص: 229.

وأنَّ الجزاءَ إذا أُطلقَ في معرِض العقوبات يُراد به ما يجبُ حقًّا لله تعالى بمقابلةِ فِعلِ العبد؛ لأنَّه المجازي على الإطلاق... والعذابُ: الألمُ الثَّقيلُ[1].

الدُّعاء والنِّداء:

الـدُّعـاء طلبُ الفعل أو النّفع، وأصله طلبٌ من الـلـه، والـنّـداء رفعُ الصَّوت بما له معنى

قال العسكريُّ: النِّداءُ: هو رفعُ الصَّوت بما له معنى، والدُّعاءُ: يكونُ برفع الصَّوت وخفْضِه، يُقال: دعوتُه من بعيد، ودعوتُ الله في نفسي، ولا يقال: ناديتُه في نفسي، وأصلُ الدُّعاء طلبُ الفعل؛ دعا يدعو. وقال الرّاغبُ: الدُّعاء مثلُ النِّداء، إلّا أنَّ النِّداء قد يُقال: بـ (يا) أو أَيا ونحوِ ذلك من أدوات النِّداء من غير أن يُضمَّ إليه الاسمُ، أمّا الدُّعاء، فلا يكاد يُقال إلّا إذا كان معه الاسمُ، نحوَ: يا فلان، وقد يُستعمل كلٌّ منهما في موضع الآخر، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: 171][2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 364، والكفوي، الكليات، ص: 653، و654.
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 534، والرّاغب، المفردات: (دعا).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»